معهد الميراث النبوي

اسْمُ الْمَادَّةِ

الْعَقِيدَةُ

الدَّرْسُ السَّابعُ مِنْ:

شَرْحِ (الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ وَأَدِلَّتُهَا)

مُؤَلِّفُ الْمَتْنِ:

الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ/مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ–

اسْمُ الشَّارِحِ:

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الدُّكْتُور/أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بَازمُول –حَفِظَهُ اللهُ–

تَحْتَ إِشْرَافِ:

فَرِيقِ عَمَلِ مَعْهَدِ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنْ الحَمَدَ للهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيْئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللهَ فَلاَ مُضِلَ لَهُ وَمَنْ يُضّلْل فَلاَ هَادِيَ لَه وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهِ إِلاَّ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمْدا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ.

أَلاَ وَإِنْ أَصْدَقَ الْكَلاَم كَلاَمُ اللهِ وَخَيْرِ الهَدْىَّ هَدْىُّ مُحَمَّدٍ وَشَرَ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٍ وَكُلّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ :

فنواصل بإذن الله تعالى مذاكرة **الأصول الثلاثة** لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله تعالى -وأسأل الله -عز وجل- لي ولكم الإعانة والتوفيق والسداد في الأمر كله وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يجعلنا من عباده الصالحين الذين يريدون الحق ويعملون به ويسعون إليه وأن يجنبنا طريق الهالكين؛ أهل الفتن وأهل المحن الذين يؤذون عباد الله المؤمنين؛ و والله ما ضروا إلا أنفسهم ووالله إن المسلم ليحزن على حالهم فهم كالذي يهلك نفسه بيده نسأل الله السلامة والعافية.

فلا شك أن توفيق الله -عز وجل- للعبد حين يطلب الحق ويسعى إليه ويعمل به ولا يتعصب للرجال لا شك أن هذا أمر عظيم وفضل من الله كبير على

المسلم أن يحمد ربه أن جنبه هذه التعصبات وتلك الأفعال السيئة وأن وفقه لطلب العلم الشرعي.

وكنا قد توقفنا عند: «**أركان الإيمان الستة**».

قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله تعالى-: «وأركانه ستة...».

أي أركان الإيمان ستة، كما جاء في حديث جبريل، وكما في الأدلة التي سيذكرها الشيخ -رحمه الله تعالى-، فإذا قلتَ إنكَ مؤمن، وإذا قلتِ يا أمَة الله إنكِ مؤمنة، فلابد أن تعلمي بماذا أنت مؤمنة، وأنت يا عبد الله مؤمن بالله -عز وجل- كما سبق معَنا: «بالله رباً»؛ أنه الخالق المدبر المالك المتصرف الذي له الخلق والأمر -سبحانه وتعالى- والذي يستحق العبادة، وأنه -سبحانه وتعالى- هو خالق السماوات والأرض وخالق الليل والنهار وخالق الشمس والقمر وخالق جميع المخلوقات وهو رب العالمين.

وبالله إلهاً معبوداً مستحقاً للعبادة؛ فلا تصرف أي عبادة لغير الله -عز وجل- لأن الشرك ظلم عظيم كما قال لقمان لابنه، كيف تصرف شيئاً من العبادة لغير الله -عز وجل-، والله هو الذي خلقك، وهذا الذي تصرف إليه العبادة سواء كان ولياً أو مقبوراً أو شجراً أو حجراً أو قمراً هذا كله مخلوق؛ مفتقرون إلى الله -عز وجل- فكيف تصرف العبادة لغير مستحقها؟!

وكذا في أسمائه وصفاته -سبحانه وتعالى- التي جاءت في الكتاب والسنة التي وأثبتها النبي -صلى الله عليه وسلم- لله -عز وجل- والتي جاءت في القرآن من ذكر أسماء الله -عز وجل- وصفاته **لابد أن تؤمن بها وأنها حق لله -عز وجل-؛ من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل**، تؤمن إيماناً جازماً ويقيناً بهذه الأمور.

وتؤمن بالملائكة؛ والملائكة خلق من نور، وعباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، تؤمن بهم إجمالاً، فقد جاء في الأحاديث من ذكر عددهم الكثير جداً، وتؤمن بهم تفصيلاً كجبريل وميكائيل وإسرافيل، ومنهم ملك الموت -وليس اسمه عزرائيل كما اشتهر عند كثير من الناس وإنما ملك الموت-، ومنهم خازن النار ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ (٧٧)﴾ فنؤمن بالملائكة إجمالاً ونؤمن بهم تفصيلاً.

ونؤمن أنهم مخلوقون من نور، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، وأنهم يتبرؤون ممن يعبدهم، فإن الله -عز وجل- لا يرضى أن يشرَك به لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

جاء في الحديث أن البيت المعمور: «يدخله كل يوم عدد كبير من الملائكة سبعون الفاً لا يعودون إليه إلى يوم القيامة»، وجاء في الحديث: «أطّت السماء وحق لها أن تئط ما من موضع فيها إلا وملك ساجد» أو كما قال -عليه الصلاة والسلام-، فعدد الملائكة كثير. وجاء في قوله -تعالى- ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ

(١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ﴾ جاء في بعض الأحاديث أن عدد الملائكة في تلك الليلة أكثر من عدد حصى الأرض، أو كما قال عليه-الصلاة والسلام-، فهذا العدد الكثير نؤمن به إجمالاً، وهذا العدد الكثير، إذا كانت تلك الملائكة -عليهم السلام- بهذا العدد الكبير.

وجاء في الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «أذن لي أن أصف ملكاً ما بين شحمة أذنه وعاتقه كما بين السماء والأرض»، والنبي -صلى الله عليه وسلم- رأى جبريل وقد سَدَّ الأفق عليه -الصلاة والسلام-، فإذا كان هؤلاء الملائكة -وهم مخلوقون- فكيف بالخالق -سبحانه وتعالى-؟! فلا شك أن الملائكة تدل على عظمة الله -عز وجل-، والله -عز وجل- عظيم فهو الخالق سبحانه وتعالى.

فنؤمن بالملائكة رسل الله -عز وجل-، الذين اصطفاهم الله -عز وجل-.

قال: «وكتبه...».

أيضاً نؤمن بالكتب السماوية التي أنزلها الله -عز وجل- على الأنبياء والرسل، نؤمن بها إجمالاً كما أخبرنا الله -عز وجل- بذلك، فنؤمن بكل كتاب نزل على كل نبي، ونؤمن بها تفصيلاً؛ التوارة والزبور والإنجيل والصحف

والقرآن، فنؤمن بها ما جاء مفصلاً في كتاب ربِّنا وفي سنة نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم–.

نؤمن بها وأنّها حق.

ونؤمن أن **كل الكتب التي نزلت قبل القرآن هي منسوخة بالقرآن**؛ فالقرآن ناسخ لتلك الكتب السماوية السابقة، هي حق نؤمن بها ولكنّ الله –عز وجل– أنزل هذا القرآن مهيمناً على تلك الكتب، فلا يجور لإنسان أن يقول نحن نعمل بالتوارة أو نعمل بالإنجيل وأن يأخذ نصوص التوارة والإنجيل وأن يعمل بها لأمور:

الأمر الأول: أن الله –عز وجل– أخبرنا أنه –سبحانه وتعالى– لن يقبل منا إلا الإسلام؛ والإسلام هو ما في كتاب ربنا وسنة نبينا –صلى الله عليه وسلم– وما كان عليه سلف الأمة؛ هذا هو الدين الحق.

ومنها أيضاً: أن الله –عز وجل– أخبرنا أن القرآن مهيمناً على الكتب التي قبله، فهو المرجع وهو الفرقان.

ومنها أيضاً: أن القرآن ناسخاً لتلك الكتب.

ومنها أيضاً: أن التوارة والإنجيل مُحَرَّفة ومبدَّلة؛ فلا يأمن العبد أن يعمل بما حُرِّف، ولذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– في التوارة والإنجيل عن أهل

الكتاب ماذا قال لنا؟! قال: «لا تصدقوهم ولا تكذبوهم»، «حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج».

لماذا؟

لا نصدقهم لاحتمال أن يكون هذا النص مما حرَّفوه وكذبوا فيه؛ فلا نصدقهم جزماً، ولا نكذبهم لاحتمال أن يكون هذا الحرف مما لم يحرَّف؛ فلا نقع في تكذيب شئ مما أنزل الله -عز وجل-.

ما الفائدة ؟

الفائدة استئناسا وعبرة لكن عملاً بتلك الكتب؛ فلا لأن القرآن كما سبق ناسخ ولأنها مبدلة ومحرفة.

وأيضاً نؤمن بالرسل؛ برسل الله -عز وجل- إجمالا كما أخبرنا الله -عز وجل- رسلاً مبشرين ومنذرين وتفصيلاً ممن ذكروا في القرآن، وعددهم خمسا وعشرين كما جاء في القرآن.

و أولوا العزم منهم نوح عليه -الصلاة والسلام- وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، فهؤلاء أولوا العزم من الرسل عليهم -الصلاة والسلام-، فنؤمن بهم إجمالاً ونؤمن بهم تفصيلاً.

ونؤمن أن أولي العزم منهم -كما سبق- نوح وابراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-.

ونؤمن أن محمداً -صلى الله عليه وسلم- سيد ولد آدم وأنه صاحب لواء الحمد وصاحب الشفاعة عليه -الصلاة والسلام-

ونؤمن أنهم جميعاً بشر يمرضون ويصحون، وصفاتهم صفات البشر، لأنهم بشر؛ ولكنّ الفرق بينهم وبين البشر أنهم اصطفاهم الله -عز وجل- وأوحى إليهم ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾.

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- والأنبياء عليهم -الصلاة والسلام- لا يُرفعون فوق منزلتهم، نحبهم ونحترمهم، ونؤمن بهم، ونتبع نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، فإن موسى بن عمران لو كان حيا ما وسعه إلا اتباع النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعيسى -عليه الصلاة والسلام- حين ينزل في آخر الزمان حين يقتل الدجال فإنه -كما جاء في الحديث- يصلي خلف رجل من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-، ويقيم شريعة النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا يقيم شريعته، وإنما يقيم شريعة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

فهؤلاء الرسل كما سبق نؤمن بهم ولا نغالي فيهم؛ «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»، ليس محبة الرسول أن تغالي فيه وأن تصفه بصفات الربوبية، وأنه يعلم الغيب، أو أنه بيده الأمور، هذه ليست محبة للنبي -صلى الله عليه وسلم-؛هذا النبي -صلى الله عليه وسلم - يرفضه؛ هذا النبي -صلى الله عليه وسلم- يكرهه ويمنعه ويحرمه، كان -صلى

الله عليه وسلم - في آخر حياته في مرض موته كان يقول -عليه الصلاة والسلام-: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- نهى عن الغلو فيه ونهى عن إطرائه، إنما هو عبد لله أعلى مقاماته أن يكون عبدا لله -عز وجل- اصطفاه الله -عز وجل- برسالته وأكرمه -سبحانه وتعالى- بالشفاعة.

والعبد المسلم يحب النبي -صلى الله عليه وسلم-يحبه لا لذاته؛ وإنما يحبه لأنه رسول من الله -عز وجل- ولأنه مبلغ من الله -عز وجل-؛ فإن محبة النبي - صلى الله عليه وسلم- لذاته كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- هي شرك؛ محبة النبي -صلى الله عليه وسلم- لذاته هي شرك، وكذا طاعته -صلى الله عليه وسلم -لا يطاع لذاته؛ وإنما يطاع لأنه رسول من الله -عز وجل-، أمَا قال -صلى الله عليه وسلم-: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله» ؟!

فمحبة النبي -صلى الله عليه وسلم- لا تكون لذاته -صلى الله عليه وسلم - وإنما تكون محبة في الله؛ محبة لأنه أخرجنا بإذن الله -عز وجل- من الظلمات إلى النور -صلى الله عليه وسلم-.

إذا هذا الركن الرابع.

الأول: الإيمان بالله.

والثاني: بالملائكة.

والثالث: بالكتب.

والرابع: بالرسل.

والخامس: الإيمان باليوم الآخر.

نؤمن باليوم الآخر وأنه حق، وأنه **ليس كما يقول أهل الضلالة أنه مجرد تخييلات وأمور عقلية لا حقائق لها،** المقصود منها إخافة الناس، لا؛ **بل هناك يوم آخر فيه محاسبة الناس، وفيه الجزاء والحساب، وفيه الجنة والنار،** أسأل الله -عز وجل -أن يجعلني وإياكم من أهل الجنة، وأن يبعدني وإياكم عن النار.

أسأل الله -عز وجل- أن يعيذنا في ذلك اليوم من شدائده وأهواله، فإنه يوم عظيم؛ يوم يجعل الولدان شيبا، ويوم تضع كل ذات حمل حملها، ويوم ترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن من شدته وعظمته وأهواله، فإنه يوم عظيم، يقال فيه اللهم سلِّم سلِّم، الملائكة في ذلك اليوم يقولون: سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك، وهو منذ أن خلقه الله إلى ذلك اليوم وهو ساجد؛ فيرفع رأسه ويقول سبحانك الله ما عبدناك حق عبادتك.

فإذًا ذلك اليوم حق لابد أن نؤمن به، ولا بد أن يكون للإيمان باليوم الآخر آثار على المسلم؛ يخشى الله -عز وجل-، ويخاف عقابه، ويخشى من ظلم الناس، ويعلم أنه مهما عمل من شيء فإنه سيلقاه يوم القيامة، لذلك كانت من أشد الآيات عند أهل العلم قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾.

فإن قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا﴾ المعنى- كل سوء يعمله المرء يحاسب عليه ويلقاه يوم القيامة.

وكما نعلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾، في اليوم الآخر هناك العذاب وهناك النعيم، هناك الجنة، هناك النار، هناك الميزان، هناك الصراط، أهوال وعظائم.

على المرء أن يستعد لذلك اليوم بتقوى الله -عز وجل-، بنور من الله لا بمجرد الخوف والهلَع، لا بالبدع والضلالات؛ وإنما من أراد النجاة ذلك اليوم فليكن من أتباع محمد -صلى الله عليه وسلم - وأصحابه الكرام، فليعمل بما أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ويجتنب ما نهى عنه الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ويصدق ما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم -، ويستعد للرحيل، فإن التَّقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله -عز وجل-، وأن تترك معصية الله على نور من الله -عز وجل-، وأن تستعد ليوم الرحيل، وكلنا ميتون، وكلنا مجازون على أعمالنا: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

ثم قال: «وتؤمن بالقدر خيره وشره...».

وهذا الركن السادس: **الايمان بالقدر خيره وشره.**

ومراتب القدر عند أهل العلم أربعة:

المرتبة الأولى : العلم= مرتبة العلم، قال الله -عز وجل-: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

والمرتبة الثانية : الكتابة= فإن لله -عز وجل- قد كتب كل شيء في اللَّوح المحفوظ كما قال -صلى الله عليه وسلم-: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء».

والمرتبة الثالثة: المشيئة = بأنّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فالله عز وجل يفعل ما يشاء ويخلق ما يشاء -سبحانه وتعالى- ويختار.

والمرتبة الرابعة : مرتبة الخلق= قال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

فلا بد من الإيمان بالقدر خيره وشره، ولا بد من الايمان بهذه المراتب أن الله يعلم كل شيء، وكما قال العلماء فإن الله يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون؛ يعني ذاك الذي مات طفلا أو شابا؛ لو لم يمت فإن الله يعلم ما سيكون منه، وعلم الله -عز وجل- بهذه الأمور وبهذه الأشياء لا تعني أنه -سبحانه وتعالى- أجبر الناس على أن يعملوا هذه الأعمال، وإنما الله علِم ما سيختار الناس وما سيفعلون، فكتب في اللوح المحفوظ ما علم -سبحانه وتعالى-، ولذلك أنت يا عبد الله، جعل الله لك الاختيار، جعل لك أن تختار طريق الخير تنجو، أو تختار طريق الشر فتهلك، ومع ذلك فما لك من مشيئة إلا تحت مشيئة الله -عز وجل- فإن الخلق خلقه، والأمر أمره.

فلذلك ينبغي أن نتنبه لهذا الأمر، وأن لا تختلط علينا الأمور فإن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، ولا بد أن نعلم هذا الأمر، فاعمل يا عبد

الله فكل ميسر لما خلق له، واحرص على ما ينفعك واعمل بطاعة الله فإنك لا تدري ما يكون عليه أمرك.

لذلك كان السلف يخافون على أنفسهم، وما كانوا -رضي الله عنهم وأرضاهم - يعني يتأثرون بطاعتهم، بل كانوا يخافون، وكلما كانوا أعلم كانوا من الله أخوف وأخشى، وكانوا لله أخشى، وكذلك النبي -صلى الله عليه وسلم-: «أما إني أعلمكم بالله وأخشاكم له وأتقاكم له».

وقال صلى الله عليه وسلم: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» أو كما قال -عليه الصلاة والسلام-.

إذًا هذه هي مراتب الإيمان الستة: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

ثم قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «والدليل على هذه الأركان الستة».

قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ فذكر -سبحانه وتعالى- الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالنبيين، فهذه خمسة أركان.

أين الركن السادس؟

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

قال الشيخ: «ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾»

فهذه الأركان الستة مذكورة في القرآن، وسيأتي ذكرها في حديث جبريل الطويل -عليه الصلاة والسلام-.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «المرتبة الثالثة».

الآن انتهينا من المرتبة الأولى، وهي الإسلام، ثم انتهينا من المرتبة الثانية وهي الإيمان ،ثم الآن ندخل في مرتبة الإحسان.

وأهل الإحسان عددهم أقل، وأهل الإحسان هم ممن عبدوا الله -عز وجل- كأنهم يرونه، فإنهم وإن لم يكونوا يرونه فإن الله يراهم، فأحسنوا في أعمالهم وأخلصوا لله -عز وجل-.

والإحسان ليس بالهوى، وإنما الإحسان باتباع سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، والإخلاص لله -عز وجل-، ومراقبته -سبحانه وتعالى-، واتباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.

والإحسان هو أعلى مراتب هذا الدين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: الإحسان هو فعل المأمور به، سواء كان إحسانا إلى الناس أو إلى نفسه، **فأعظم الإحسان: الإيمان، والتوحيد، والإنابة إلى الله تعالى، والإقبال إليه، والتوكل، وأن يعبد الله كأنه يراه، إجلالا**

ومهابة وحياء ومحبة وخشية، فهذا هو مقام الإحسان؛ فيُحب الله -عز وجل- لذاته فإن الله -عز وجل- هو الذي يُحَبُّ لذاته.

والإحسان كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- «أن تعبد الله كأنك تراه فإنك وإن لم تكن تراه فإنه يراك».

ما الذي نلحظه في هذا الحديث؟

نلحظ أن فيه المراقبة والاستحضار، فإذا خلا المرء بنفسه فإنه لا يعصي الله -عز وجل-؛ لأنه يعلم أن الله يراه، ويعلم أن الله يعلم بحاله، وأن الله أقرب إليه من حبل الوريد، وأن الله -عز وجل- يعلم ما تُسِره نفسه، فلابد أن يستحضر العبد هذه الأمور، ليصل لدرجة الإحسان فيراقب الله -عز وجل- المراقبة التامة.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «الإحسان ركن واحد، وهو أن تعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

فإن الله -عز وجل- يرى ويسمع، حتى قالت عائشة -رضي الله عنها-: **سبحان الذي وسع سمعه كل شيء،** وذكرت هذا الكلام في قصة المجادِلة لما كانت تشتكي للنبي -صلى الله عليه وسلم- من زوجها، فكانت عائشة -رضي الله عنها- تسمع بعض الكلام وبعض الكلام لا تسمعه -مع أنها كانت في حجرة قريبة من حجرة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومع ذلك ماذا قال الله؟**!**

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾؛ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ فأثبت الله -سبحانه وتعالى- أنه سمع كل شيء مما قالته ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾. فعائشة -رضي الله عنها- ماذا تقول؟ تقول: سبحان الذي وسع سمعه كل شيء، يعني لم يغب عنه -سبحانه وتعالى- شيء مما قالته المرأة للنبي -صلى الله عليه وسلم-، فسمع -سبحانه وتعالى- كل شيء مما قالته، فالله -عز وجل- يعلم كل شيء، حتى الأوراق التي تتساقط -سبحانه وتعالى- يسمع دبيب النملة في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، فالله عالم بكل شيء -سبحانه وتعالى-.

ولذلك -كما مر معنا- عن الفضيل بن عياض لما جاءه رجل يريد أن يعصي الله قال: نعم، اعص الله؛ ولكن اعص حيث لا يراك الله -عز وجل-، فقال: وكيف هذا؟ فقال: يا عدو نفسه تعلم أن الله يراك ثم تعصيه.

لذلك قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» فهذا كما جاء في الحديث وسيأتي.

قال: «والدليل قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾».

فهذه هي **المعية الخاصة** من الله -عز وجل- لأهل التقوى؛ معهم بعلمه، معهم بنصرته -سبحانه وتعالى- وتأييده، فالذين اتّقوا الله -عز وجل- لا يخافون إلا الله، والذين اتقوا الله هم الذين يفعلون أمر الله -عز وجل-، لا الذين

يفعلون أهواءهم، ويفعلون ما يشاءون، ويظنون أنفسهم أنهم أولياء الله؛ مثل داعش، ومثل تنظيم القاعدة، ومثل النصرة، ومثل أنصار الشريعة... وهذه الجبهات التي اتّبعت هواها، ولم تتبع أمر الله –عز وجل– ولم تتق الله –عز وجل– في مؤمن ولا مسلم؛ لا شيخا ولا امرأة ولا طفلا، بل قتلوا الأبرياء، حتى الكفار لا يجوز قتلهم إلا بحقه في الجهاد وفي القتال، أما المستأمن أو المعاهد أو الذِّمّي فإنه لا يجوز قتله، كما دلت على ذلك الأدلة، فأين تقوى الله في هذه الأمور؟!!

ولذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا﴾، ﴿لاَ تَحْزَن إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ فهذه معية خاصة من الله –عز وجل– وإذا كان الله معك يا عبد الله فمن ذا الذي تخاف؟!! فمن ذا الذي تخاف؟!!

فإن الله ينصرك ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ فالله –عز وجل– وعد بالنصر في الدنيا والآخرة .

قال: «وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فالله –عز وجل– يخاطب النبي –صلى الله عليه وسلم– بأن يتوكل عليه –سبحانه وتعالى– لأنه –سبحانه وتعالى– بيده الأمور كلها فإن الله –عز وجل– ناصره ومعينه وحافظه ومؤيده –سبحانه وتعالى– ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ يعني يراك ويطلع على حالك ويعلم بك في عبادتك من صلاة ونحوها، ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾

ويراك في صلاتك راكعا ساجدا، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يعني -سبحانه وتعالى- يسمع ويعلم جميع الأمور.

ثم قال الشيخ -رحمه الله تعالى- «وقوله تعالى: -أي من الأدلة على الإحسان- ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾»

فالله -عز وجل- يخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنك في أي عمل في شأن في أي عمل من الأعمال وما تكون في حالة تقرأ فيها القرآن وتتلوه بل وكل عمل صغير أو كبير أنت وأمتك ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾، يعني أن الله -عز وجل- يراه ومطلع عليه وعلى جميع الناس في جميع أعمالهم وأفعالهم وأقوالهم، ولذلك-سبحان الله - الذي يطلق لسانه بالسب والشتم، والذي يؤذي المؤمنين والمؤمنات، والذي يؤذي الضعيف، والذي يتجبر على خلق الله -عز وجل- لا شك أنه لم يستحضر هذه المعاني، لا شك أنه غفل عن ما سيكون يوم القيامة من جزاء وحساب.

وقوله تعالى:﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي تعملون وتشرعون فيه وتستمرون.

ثم قال الشيخ -رحمه الله تعالى- : «والدليل من السنة».

والآن ذكر الأدلة على الإسلام، والإيمان والإحسان من القرآن؛ ثم ذكر دليلا من السنة يشمل جميع المراتب الثلاثة، وهو الحديث المشهور.

قال: «والدليل من السنة: حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، فجلس إلى النبي –صلى الله عليه وسلم–، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه».

في هذا الحديث، في قول عمر –رضي الله عنه–: «بينما نحن جلوس عند رسول الله» هكذا كان الصحابة –رضوان الله عليهم–، كانوا يحرصون على الجلوس عند النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ والعلماء ورثة الأنبياء، فعلى المسلمين أن يحرصوا على الجلوس عند العلماء، وأن يرجعوا إلى العلماء، وأن يسألوا العلماء وأن يعرفوا –أيضا– من هم العلماء؛ فليس كل من قيل فيه أنه عالم أو علامة هو فعلا عالم يستحق أن يرجع إليه ولا من يعده بعض الأغرار بأنه من العلماء الكبار هو فعلا من العلماء الكبار.

فلابد أن تتوفر فيه صفات العالم، وهي: العلم بالكتاب، والسنة، وما كان عليه سلف الأمة، والعمل والتقوى، والعمل بهذه الأمور مع تقوى الله –عز وجل– فهاتان صفة العالم وإلا فإن كثيرا ممن يزعم أنه من العلماء قد يكون من علماء الضلالة وقد يكون من علماء السوء.

فقولوا لي بربكم، من الذي أفتى الناس وجوز لهم بقتل المؤمنين ؟

مثل: داعش، ومثل الذين يقومون بالعمليات التفجيرية والحزام الناسف من الذي أفتاهم؟

أناس يزعمون أنهم علماء!!

من الذي جوز للناس الخروج على الحكام والمظاهرات التي تخالف أمر الله، وأمر رسوله -صلى الله عليه وسلم- وتخالف إجماع الأمة وأنها محرمة؛ فهذه الآثار المترتبة على الخروج في ليبيا، في سوريا، في اليمن، في تونس وفي غيرها من الدول، من المصائب، والمحن والقتل الذي تفشى وانتشر من الذي أفتاهم بذلك؟!! من الذي جوز لهم الخروج؟!!

علماء ضلالة، علماء سوء.

علينا يا إخواني -بارك الله فيكم- أن نحذر منهم، وهناك بعض الناس يقول: يا أخي! لا تتكلم في العلماء.

يا أخي! لست أنا الذي تكلمت في العلماء، إنما هذا أمر الله -عز وجل- كما في سورة آل عمران، **في أولها**، عندما تلا النبي -صلى الله عليه وسلم- قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ فالنبي -صلى الله عليه وسلم- لما تلا هذه الآية قال: «فَإِذَا رَأَيْتم الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَتَشَابِهَه -أي: ممن يزعم أنه من العلماء- فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ».

والله -عز وجل- قص لنا حال بني إسرائيل اليهود وحال النصارى الذين ضلُّوا بسبب علمائهم الذين انحرفوا عن الحق.

لماذا يقص لنا هذا؟

يقص لنا حتى نحذر من هذا، ومن هنا قال سفيان: «من ضل من العلماء فقد أشبه اليهود المغضوب عليهم -لأنه علم وعمل بخلاف ما علم- ومن ظل من الزهاد والعُبّاد فأشبه النصارى لأنه عبد الله على غير علم، ونور وبصيرة». ولذلك كان التحذير ممن يخالف الحق أمر مشروع، بل واجب بل مجمع عليه كما نقله أهل العلم، أنه بالإجماع.

ولذلك يا إخواني -بارك الله فيكم! لابد أن نحذر من هذا الأمر.

فلابد أن نعرف من هم العلماء؛ لأن الرجل إذا قيل أنه عالم وتصدر للناس فإنه يوقع الناس في الفتن، ويوقع الناس في التحزب، ويأتي بالفتاوى الباطلة، ويأتي بالكلام المخالف للحق الكثير؛ فإذا كان غير عالم؛ كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا يتزع من صدور العلماء، ولكن يقبضُ العلمَ بقبضِ العلماءِ، حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا، اتخذَ الناسُ رُؤوسًا جُهَّالًا، فسُئِلوا، فأفْتَوا بغيرِ علمٍ،فضلوا وأضلوا».

هكذا الرؤوس الجهال، الرؤوس الجهال يا إخواني! ليس معناه الذى لا يقرأ ولا يكتب؛ ليس معناه الرؤوس الجهال الذي ما تعلم؛ لا! الرؤوس الجهال كما سألت الشيخ ابن باز -رحمة الله عليه- وغيره من أهل العلم، سألتهم عن

ذلك، قالوا: «**الرؤوس الجهال: هو كل من تكلم في دين الله بلا علم**» ولو كان عنده شيء من علم فإنه يعتبر من الرؤوس الجهال، فالذي يتكلم في دين الله بلا علم، ويفتي بلا علم ويوقع في الفتاوى الباطلة الكثيرة وإن تراجع عنها؛ فإنه عند أهل العلم إن كان فتواه بجهل وكانت فتواه في مسائل عظيمة يجهلها ويتخبط فيها؛ فإن أهل العلم، مثل هذا الرجل لا يوثق به؛ مثل هذا الرجل لا يرجعون إليه يستفاد منه فيما تكلم فيما يحسن، فإن كثر منه قد يحذرون منه، فبعض الناس الآن قد يتخذون مثل هؤلاء الرؤوس الجهال علماء أكابر ويأمرون بالرجوع إليهم وهم والله لا يستحقوا أن يسموا علماء، بل إن أحسنا الظن بهم، طلبة علم.

فلا شك أن هذه االتخبطات الواقعة في هذه الأمة إنما هي بسبب عدم تمييزها بين العلماء وإلا فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما وصف العلماء الحق قال: «إنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ» ولذلك نص بعض أهل العلم أن العالم لا يؤتى الناس من قبله.

لماذ؟!!

لأنه متمسك بالكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة، ويدعو إلى ذلك، وأما إذا كان مقصرا في هذه الأمور فإنه يؤتى الناس من قبله، وإن سَمَّوه عالما أو علاَّمة وإن وصفوه بأنه، مثلا: من الأكابر، فليس كل من وصف بهذا الأمر استحق هذا الأمر.

وأذكر لكم مثالا على هذا : فتنة فالح الحربي، فإن فالح الحربي ليس بعالم في حقيقة الأمر؛ ففي بداية الأمر كان مع السلفيين وكان يرد على أهل الباطل، ولكن مع رده على أهل الباطل، مما يستفيد من كلام العلماء، إلا أنه لم يكن متأصلا علميا فضل وانحرف، فالح في بداية أمره أثنى عليه العلماء فيما ظهر لهم من حاله ثم ضل وانحرف فرد عليه العلماء، وضللوه.

سألت شيخنا ربيع المدخلي -حفظه الله تعالى-، فقلت: يا شيخ، الله يحفظك، أنا سمعت كلام فالح الحربي، أيام ما كان مع السلفيين وكنت أرى أن في كلامه خلل كبير، وكنت أرى أنه ليس بذاك المرتبة التي، يعني، الناس تثني عليه، أن الطعن فيه طعن في الإسلام، أو أنه علاَّمة، أو أنه من الأكابر، أو أو إلى آخره.ولكن أنا أرى أنه الشباب وأرى المشايخ يقدمونه وأرى المشايخ يثنون عليه.فسكتُ ما أردت أن أظهر أمر وأنا متفرد عن هؤلاء المشايخ.

فقال: يا ولدي؛ والله كان في الحضيض-يعني كان جاهل- ولكن صبرنا عليه، أردنا أن يتوب، أردنا أن يترك واستمر في ضلاله وغيه إلى أن رددنا عليه.

فإذًا فالح في حينها كان مُعَظَّم، ولذلك يا إخواني؛ **ينبغي أن لا نعظم الناس، إنما نعظم الحق، ونتابع الحق، ونبحث عن الحق، فمن كان مع الحق كنا معه، ومن خالف الحق لا نكون معه.**

وما أكثر اليوم من ينادي بالرجوع إلى الأكابر في مسائل قد تكون مخالفة للحق، فأيهما أولى بالرجوع؟!! أن ترجع إلى الحق أم أن ترجع إلى الأكابر؟!!

نعم من منهج السلف الرجوع إلى الأكابر، ولكن للحق الذي عندهم لا لذاتهم، فإن من يدل الشباب بالرجوع للأكابر تمريرا لباطله فإنما يدلهم على باطل لا يدلهم على حق؛ وإلا فما معنى قول مالك، وأحمد، والشافعي، وأبو حنيفة وغيرهم من أهل العلم: كلٌّ يؤخذ من قوله ويردُّ إلا النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ معناه: يؤخذ من قولهم الحق ويرد من قولهم الباطل.

هنا يا إخواني لا بد أن أذكركم هناك بعض الناس يدندنون حول هذه الكلمة لتمرير الباطل فاحذروهم بارك الله فيكم.

ثم ما جاء في حديث جبريل قال : «إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر»، يعني غريب و مع ذلك من غرابته أنه :

أولا: لا يُعرف.

ثانيا: بما أنه لا يعرف فالمتوقع أن يكون مسافرا و أن يكون متعبا وأن تكون عليه آثار السفر بادية.

و مع ذلك هذا الرجل و هو جبريل عليه –السلام– و ما كانوا يعلمون حينها أنه جبريل، فهذا الرجل كان «شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، و لا يعرفه منا أحد، فجلس إلى النبي –صلى الله عليه و سلم– فأسند ركبتيه إلى ركبتيه و وضع كفيه على فخذيه».

قال العلماء:

في هذه جلسة طالب العلم مع العالم باحترام و توقير و تقدير، فقال هذا الرجل و هو جبريل عليه -الصلاة والسلام -: «يا محمد!» ، ناداه باسمه، «أخبرني عن الإسلام»، فقال النبي -صلى الله عليه و سلم- : «أن تشهد أن لا إله إلا الله، و أن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، و تؤتي الزكاة، و تصوم رمضان، و تحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال جبريل: صدقت»، قال عمر: «فعجبنا له يسأله و يصدقه»؛ و وجه العجب أن السائل حين يسأل يريد الجواب عن أمر لا يعلمه و لكن يسأل عن أمر يعلمه بدليل أنه قال صدقت؛ أي أن قولك قول صدق و أنا أعلم ذلك، هذا وجه.

ووجه آخر أن هذا الرجل كأنه يعلم هذا الأمر و هذا الأمر إنما جاء به الرسول -صلى الله عليه و سلم- عن الله، وهذا الرجل غير معروف بينهم.

فمن أين أتى به؟!!

فلذلك تعَجَّبوا رضي الله عنهم و أرضاهم.

قال: «أخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره و شره، قال: صدقت قال أخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: أخبرني عن الساعة، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل» يعني أنا لست بأعلم منك بمتى

الساعة و متى تكون لأن علم الساعة، القيامة تفرد به الله –عز و جل –، فقال: «أخبرني عن أماراتها، يعني عن علاماتها قال: أن تلد الأمة ربتها».

هذه العلامة قال العلماء يحتمل أن يكون المعنى أن في آخر الزمان يكثر الإماء و الجواري، فالرجل يطأ الأمة فتحمل فتلد له فأمها أمة، أم الولد تعتق بعد موت زوجها فقالوا هذا دليل أو إشارة إلى كثرة الجواري و الإماء المملوكات، وقيل معناه أن البنت تعامل أمها معاملة الجارية، لا احترام و لا تقدير و هذا ما نراه اليوم للأسف الشديد، الأم تخدم وتغسل وتطبخ وتهيِّء البيت و تجهز الأولاد، والبنت إما نائمة و إما تلعب وإما تمسك الجوال وإما تدعي أنها تذاكر، هذا إذا لم تقع في أمر محرم كمشاهدة المسلسلات والأفلام المحرمة، ولا شك أن هذا من العقوق ومن سوء معاملة الوالدين.

و هنا أنبه على أمر :

ما سبق من جهة أن البنت ينبغي لها أن تعين أمها وأن تساعدها، وهذا الأمر أعني مساعدتها لأمها هو من توفيق الله لها، فإنها ستكون هذه البنت غدا زوجة و أم فتحتاج أن تتعلم و تحتاج أن تتعود، و كما برت أمها ستبرها بنتها بإذن الله تعالى.

وهنا أنبه على أمر يتعلق بمسألة الوالدين، وهو أن بعض الناس إذا رأى أباه أو رأى أمه تقسو عليه أو فيهم معاملة شديدة يظن أنه ليس واجبا عليه أن

يبرهما، وهذا خطأ بل **و لوكان الأب قاسيا أو الأم قاسية وشديدة فإن عليك يا عبد الله أن تبرهما.**

ما الدليـــــــل؟

الدليل قوله تعالى :﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

فتأملوا بارك الله فيكم كيف أن الله -عز وجل- أمر بصحبتهما بالمعروف ولو كانا مشركين فكيف لو كانا مسلمين ولكن حصل منهم شيء من القسوة أو الشدة معك؟!!

فلذلك لا بد من برهما، ولا بد من الإحسان إليهما ولا بد من الحذر من العقوق؛ فما من ذنب كما يقول النبي -صلى الله عليه و سلم- أجدر أن يعجل لصاحبه العقوبة من الظلم و العقوق أو كما قال عليه -الصلاة والسلام -.

فلذلك قال هنا في الحديث: «أن تلد الأمة ربتها، و أن ترى الحفاة العراة العالة» يعني البدو الذين لا يسترون إلا مواضع العورة وبعض جسمهم، فهم عراة، و يسيرون غالبا على أقدامهم بلا أحذية، و أيضا عالة هم فقراء، و يرعون الشاء «رعاء الشاء»، يرعون الشاء و يتطاولون في البنيان، يعني تفتح عليهم الدنيا ويملكون البنيان الواسع فهذا من علامات الساعة ومن الأدلة على قرب يوم القيامة.

قال: «فمضى» أي ذهب جبريل عليه -السلام- «فلبثنا مليا» أي وقتا بعد ذهابه «فقال الرسول -صلى الله عليه و سلم-: يا عمر أتدري من السائل؟ قلنا الله و رسوله أعلم، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم».

فقوله -رضي الله عنه-: «قلنا الله ورسوله أعلم»، نبّه العلماء هذا في حياة النبي وفي مخاطبة النبي -صلى الله عليه و سلم -، الله ورسوله أعلم؛ وأما بعد موته عليه -الصلاة والسلام- فيقال الله أعلم لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- ميت لا يعلم عليه -الصلاة و السلام -، هذا أمر.

وقوله -صلى الله عليه و سلم-: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم»، فيه دليل على أن الإسلام و الإيمان و الإحسان من مراتب الدين كما سبق معنا.

فهذا الحديث -حديث جبريل- هو من الأحاديث العظيمة عند العلماء حتى **وصفه القرطبي بأنه أمُّ السنة،** و وصفه العلماء بأنه تضمن علوما و معارف كثيرة.

إلى هنا انتهى الشيخ -رحمه الله تعالى- من الأصل الثاني ثم الآن يدخل إلى الأصل الثالث.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «الأصل الثالث معرفة نبيكم محمد -صلى الله عليه وسلم-».

هذا هو الأصل الثالث، أنت تؤمن بالله ربا، و بالإسلام دينا، و بمحمد نبيا؛ من محمد؟ ما أحواله؟ ما الذي تعرفه عنه؟

للأسف هناك بعض المسلمين لا يعرفون هذه الأمور الضرورية التي سيذكرها الشيخ -رحمه الله تعالى-.

و لذلك **هذه الرسالة الأصول الثلاثة على صغر حجمها إلا أنها اشتملت على معارف كثيرة وأمور عظيمة.**

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «وهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم وهاشم من قريش وقريش من العرب».

فنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- هذا نسبه قرشي عربي أصيل -صلى الله عليه وسلم-.

قال: «والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام».

فنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- من ذرية إسماعيل بن إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-.

قال -رحمه الله-: «وله من العمر -أي حين مات وتوفي- ثلاث وستون سنة».

قبض -صلى الله عليه وسلم- وعمره ثلاث وستون سنة منها أربعون قبل النبوة قبل أن ينبأ ويرسل -عليه الصلاة والسلام- فهو نبئ على رأس الأربعين -صلى الله عليه وسلم-.

قال: «منها أربعون قبل النبوة».

ماذا كان قبل النبوة؟

كان يعبد إلها لا يعرف من هو ولكن كان يتعبد في غار حراء؛ يتعبد الله.

من هو الله؟

ما كان يعرف، ولذلك قال الله -عز وجل-: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ ما معنى ضالا؟ ضالا: أي لم تهتد إلى الحق ليس معناه أنه -صلى الله عليه وسلم- كان يفعل أعمال الضلال، لا؛ وإنما معناه أنه لم يهتد إلى الحق ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ فهداك للحق.

قال: «ثم بعد الأربعين نبئ -عليه الصلاة والسلام-».

ولكنه -صلى الله عليه وسلم- لم يسجد لصنم، ولم يشرب الخمر، ولم يعمل ما كان عليه أهل الجاهلية، وكان معروفا بالصدق والأمانة -عليه الصلاة والسلام-، فاصطفاه الله -عز وجل- وهيَّأَه لرسالته، وجعله خاتم الأنبياء والرسل.

قال: «منها أربعون قبل النبوة وثلاث وعشرون نبيا ورسولا -صلى الله عليه وسلم- نبئ بـ «اقرأ»

لما جاءه جبريل وقال له: «اقرأ»

قال: «ما أنا بقارئ»

قال العلماء: ما أنا بقارئ» إما أن تكون بمعنى ما الاستفهامية أي ما الذي أقرؤه؟

وإما أن تكون ما النافية أي أنا لا أحسن القراءة ولا أعرف القراءة فنبئ -صلى الله عليه وسلم- بـ «اقرأ» وأرسل بـ «المدثر» ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ﴾ فأرسله الله -عز وجل-.

وبلده مكة وبها ولد -عليه الصلاة والسلام- وكونه - عليه الصلاة والسلام- ولد بمكة لا يعني أننا نحتفل بموضع مولده فإن موضع مولده -عليه الصلاة والسلام- ليس معروفا على الصحيح من قول أهل العلم ولا يحتفل بزمن مولده فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يعلمنا أن نحتفل بزمن مولده ولا الصحابة الذين كانوا يحبون النبي -صلى الله عليه وسلم- حبا شديدا ما احتفلوا بمولده بل قال -صلى الله عليه وسلم-: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم» ولا شك أن المولد من أنواع إطراء النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قال: «وهاجر إلى المدينة».

بعد أن ضُيق عليه وأوذي هو وأصحابه وصبر وفي صبره -صلى الله عليه وسلم- في مكة عبرة لنا ودليل على باطل ما عليه هذه الجماعات داعش وغيرها فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- أوذي بمكة وحوصر وضُيق عليه وجاء عليه عام الحزن -صلى الله عليه وسلم- وبعض أصحابه يعذبون أمام عينيه ما كان بيده شيء -عليه الصلاة والسلام- فصبر لم يأمر بقتلهم غيلة ولم يأمر بهدم البيوت عليهم ولم يأمر أن يأخذ أحدهم خنجره أو سيفه ويضرب بهم يمينا وشمالا ولم يأمر الصحابة أن يأخذوا الحجارة فيضربوا كفار مكة بل أمروا بالصبر.

فهل الذين يفخرون ويتفاخرون برمي الحجارة ويعرضون الأطفال الصغار والبنات والنساء والرجال؛ يعرضونهم لرصاصات اليهود -قبحهم الله- هل الذين يعرضون هؤلاء الشباب والصغار أغْيَر وأحسن من حال النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه؟! لا والله !!

هل الذين يقومون بهذه العمليات التفجيرية فيفجرون ويكفرون أعلم و أحسن من النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه؟ لا والله !!

لابد يا أمة محمد لابد أن تكون عندنا عقول، إلى متى!! إلى متى تضحك وتلعب بنا هذه الجماعات!! فتقدم الإرهاب، وتقدم الخوارج، وتقدم الضلال على أنه نصرة الإسلام، وعلى أن هؤلاء مجاهدون وأن هذا حق، لا والله !!

ليس بحق، في الوقت الذي يتهمون العلماء الربانيين بأنهم أهل عمالة وأهل بحث عن سلطة ومال وجاه، لا والله !!

هم علماء حق-بإذن الله تعالى-، وإنما قالوا الحق الذي أمر الله -عز وجل- به، لذلك أفتى الشيخ الألباني وأفتى الشيخ بن باز وغيرهما من أهل العلم -رحمة الله عليهم- جميعا أن على من كان مستضعفا في أرض لاحول له فيها ولا قوة أن يخرج منها، فلسطين نخرج من فلسطين ثم نقيم شرع الله -عز وجل- ونعد العدة ثم نرجع إلى فلسطين بالعدة الشرعية المطلوبة منا وبالجهاد الشرعي الذي أمر الله -عز وجل به- ورسوله -صلى الله عليه وسلم-.

فليس الجهاد مجرد أن تحمل السلاح وتقتل من تقتل بلا ضوابط شرعية، ثم تقول الله أكبر الله أكبر هذا ليس الجهاد!!

إنما الجهاد أن يكون بالضوابط الشرعية، تحت قيادة حاكم شرعي لرفع كلمة الله-عز وجل-.

هذه الجماعات تفجر وتدمر نصرة لجماعتهم وأحزابهم، لا والله !! ليس نصرة لله-عز وجل-.

وأن يكون بالضوابط الشرعية، فلا يقتل الآمنون، ولا يقتل الأبرياء، ولا تستعمل الخيانات، وتستعمل الغيلة بهذا الأسلوب الماكر الخادع وإخافة الناس.

فانظروا بارك الله فيكم ما الذى ترتب على هذه الجماعات دواعش وغيرها إلا الطعن فى الإسلام والطعن فى أمة محمد–صلى الله عليه وسلم– والإيذاء للمسلمين فى فرنسا وفى أمريكا وفى أوربا.

بعضهم يقتلونهم ويؤذونهم ويفجرونهم فى مساجدهم فإن هذا والله ضلال وليس مما جاء به النبي–صلى الله عليه وسلم–

قال الشيخ–رحمه الله تعالى–: «وهاجر إلى المدينة أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد، بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد والدليل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ أي الأصنام والشرك ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾»

ومعنى ﴿قم فأنذر﴾ ينذر عن الشرك ويدعوا الى التوحيد

﴿وربك فكبر﴾ أي عظمه بالتوحيد

﴿وثيابك فطهر﴾ أي طهر أعمالك من الشرك وهذا على تفسير

﴿والرجز﴾ أي الأصنام الرجز الأصنام وهجرها تركها والبراءة منها وأهلها

قال الشيخ–رحمه الله تعالى–: «أخذ على هذا عشر سنين أخذ على هذا عشر سنين يدعو».

يريد الشيخ أن النبي-صلى الله عليه وسلم- دعا كفار مكة عشر سنين.

يريد الشيخ -رحمه الله تعالى- أن النبي-صلى الله عليه وسلم- دعا كفار مكة ثلاث عشر سنة.

عشر سنين كان يدعوا إلى التوحيد ثم بعد العشر عُرج به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس وصلى في مكة ثلاث سنين فعشر وثلاثة ثلاث عشر سنة يدعو في مكة إلى التوحيد وبعدها أُمر بالهجرة إلى المدينة.

ثم بين-رحمه الله تعالى- الهجرة ومعناها وقبل الانتقال وقبل انتهاء الدرس أحب أنبه على أمر وسيأتي التنبيه عليه في اللقاء القادم.

النبي-صلى الله عليه وسلم- دعا أهل مكة ثلاث عشر سنه يدعوهم إلى التوحيد ثم انتقل إلى المدينة عشر سنين ثم توفى-عليه الصلاة والسلام-

فى المدينة كان يقرر الأحكام والعبادات لكن ليس المعنى كما سيأتينا إن شاء الله ليس المعنى أن النبي-صلى الله عليه وسلم- في مكة كان يقرر التوحيد وفى المدينة لم يقرر التوحيد؛ وإنما المراد أنه في مكة كان يشتغل كثيرا بتقرير التوحيد.

وفى المدينة لما كان أصحابه مؤمنين وآمنوا؛ أيضا علمهم التوحيد **ولكن علمهم أيضا مع التوحيد العبادات.**

النبي-صلى الله عليه وسلم- منذ أول بعثته إلى أن لقى ربه وهو يدعوا إلى التوحيد.

كما مَرِّ معنا أنه كان يقول عند موته «لعنه الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد» فهذا لا شك أنه من التوحيد والأمر به.

فالنبي-صلى الله عليه وسلم- دعوته كلها إلى التوحيد.

وفى هذا القدر كفاية.

أسال الله-عز وجل- أن ينفعنا بما سمعنا وأن يكون حجة لنا لا علينا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.